التعمير البشري بمنطقة جنوب الونشريس

من خلال الشواهد الاثرية

الأستاذ الحاج لبيب، جامعة تيارت

ملخص

كثيرة هي الشواهد الاثرية الدالّة على وجود الانسان واستقراره او مروره بأي منطقة، وهو ما يتأتى من خلال الاعمال الميدانية سواء عن طريق المسح الاثري او الحفريات، مبرمجة منها او انقاذية، ليتم بعدها دراستها تقنيا ومخبريا بغية تحديد الاطار الكرونولوجي لهذه الشواهد ومن ثمّ تسليم النتائج العلمية للمؤرّخ لاجل التحليل الموضوعي ونشر المحتوى في شكل تقارير في كتب أو مجلات، وهو ما اردناه من خلال هذا المقال الذي يسلط الضوء على أهلية منطقة الونشريس الجنوبي بالسكان منذ ما قبل التاريخ وهو ما دلتنا عليه عديد المواقع الاثرية من بقايا بمختلف انواعها ووظائفها عبر التاريخ.

Abstract:

There are many archaeological evidences of human existence and settlement or passage in any area, which have come to light through the fieldwork by either programmed or rescue archaeological surveys or excavations that are examined technically and in laboratory in order to be determined chronologically. Then, the scientific results are delivered to historians for objective analysis and dissemination of content in form of reports in books or magazines, which is our objective through this article that sheds light on the populated Southern-Ouarsenis area since prehistoric times, the thing that has been confirmed by many remnants of archaeological sites of various kinds and functions throughout history.

الكلمات المفتاحية: الونشريس، الليمس، سهل السرسو، موريطانيا القيصرية، عين تكرية، التحصينات العسكرية.

Key-Words: Ouarsenis, Limes, Sersou Plain, Mauritania Caesariensis, Ain Toukria, Military Fortifications.

مقدمة

يتضح من خلال الشواهد الأثرية التي عثر عليها، سواء من خلال عمليات التنقيب والبحث الأثري أو من خلال التحريات التي قام بها باحثين في مجال الآثار أن المنطقة عرفت حقب تاريخية منذ عصور ما قبل التاريخ وبدايات الدخول في التاريخ ثم الفترة القديمة الى غاية حلول الإسلام بالمنطقة.

إن لفترة ما قبل التاريخ بالمنطقة مراحل انتقالية عديدة تركت بصماتها من خلال مواقع أثرية أين تم العثور على أدوات وصناعات حجرية بينت مهارة إنسان تلك الفترة في تقنيات التحكّم في ذلك الى جانب تسجيل عدة محطات لما قبل التاريخ، عثر بها على كتابات ليبية وأشكال آدمية وحيوانية عبّرت وبصدق عن استيطان القبائل البربرية لمنطقة الونشريس وسهل السرسو كما هو الحال بالنسبة لانتشارهم عبر كامل شمال إفريقيا(1)، حيث يتفق جمع من علماء الآثار على تحديد الفترة التاريخية لذلك ويحددونها بحوالي 7000سنة من خلال استقراء تجمعات بشرية اتخذت من المنطقة مركز عبور يربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، خاصة وان تلك القبائل كانت تعرف بالترحال والبحث عن الاستقرار وكل ما يضمن بقاءها.

وتتوالى الأحداث بالمنطقة قديما، فبعد احتلال شمال إفريقيا من طرف الرومان وبسط السيطرة على مرتفعات الونشريس أين عجزوا عن تسلقها وباعتبار هذه المرتفعات بوابة التحكم في المنافذ والمخارج فان القبائل المورية التي اتخذت من جبال الونشريس معقلا استراتيجيا لها واتخاذها حصونا طبيعية لصد هجمات العدو ومقاومة الاستعمار الروماني(2)، وقد كانت هذه القبائل تابعة لمملكة ماصيصيليا التي كانت تسيطر على الجزء الغربي من الجزائر حتى المغرب وبقاء الونشريس تابعا لها بقيادة الملك سيفاقص 213-202ق.م(3).

وتثمينا للدور الفعال الذي لعبته السلاسل والمرتفعات الجبلية بعلوها وارتفاعها، أصبحت رمزا للحرية حيث يقول الباحث شنيتي: " تحولت المناطق الجبلية الى أشبه جزر مستقلة في بحيرة رومانية دلالة على احتفاظهم باستقلالهم، وتحولت المرتفعات الى قواعد خلفية لمحاربة الاستعمار

الروماني، وأمام عجز الدولة الرومانية على قمع الثورات لجأت الى وضع جدار الليمس وهو عبارة عن قواعد عسكرية لمراقبة القبائل غير الخاضعة لسلطتها على طول الونشريس"(4).

ووجود أثار ذلك على جدران مدن تيارت وتلمسان* من خلال نقيشات لاتينية، باسم الملك **صولومونيس** علما أن هذه المدن كانت تابعة للحكام المحليين والأفارقة ومنهم **مازونا** MAZUNA بحكم علاقتهم مع البطريق صولومونيس 535 م (5).

وبعد إنشاء هذا الخط الذي لقي من خلاله الرومان ضالتهم، بفصل كل القبائل والمرتفعات عن بعضها البعض وتقويته بمجموعة من الخطوط العسكرية، حيث أنشئ خط شمالي من عين الدفلى إلى شلف حتى واد ارهيو وغيليزان، وخط جنوبي من بوغار ثم قرية أولاد هلال مرورا ببورباكي وصولا إلى تيارت، وخط غربي يمتد من تيهرت عبر واد مينا إلى غيليزان ، أما الخط الشرقي فيمتد من بوغار الى المدية ثم تيبازة (6).

هذا ما أعطى الفرصة لبناء معسكرات ومدن وبسط السيطرة وهو ما تثبته الشواهد الأثرية المتواجدة بأغلب المواقع والتي سنقوم بالإشارة الى بعضها خلال هذه الدراسة، بالاعتماد على مجموعة من البحوث التي أجريت على جزء كبير من المنطقة.

ومع مطلع القرن الخامس اشتدت ثورة القبائل المعادية للرومان، وضعفت السلطة الرومانية، وظهرت قوة أخرى منافسة للرومان تمثلت في الوندال وقد كان دخولهم إلى أرض إفريقيا سنة 429 م، بعد أن أزاحوا الرومان منها واستغلوا ثورات القبائل المورية.

وحتى لا يحدث لهم ما حدث للرومان لم يدخلوا في صراعات مع الثوار المحليين وتركوهم يشكلون ممالك مستقلة لا يربطهم بها سوى الخضوع الاسمي والشكلي وفي تلك الفترة ظهرت مملكة الونشريس المورية، والتي امتدت من وارسنيس إلى نهر ملوية بوهران، ولما غلب البيزنطيون الوندال على ارض إفريقيا سنة 534 م، رفضت الممالك المحلية هذا الوافد الجديد معتبرة إياه استعمارا رومانيا ثانيا، ودخلت معه في صراعات بين عامي 535 و 539 م باءت بفشل البيزنطيين مما جعلهم يتراجعون عن فكرة استعادة ملك موريطانيا القيصرية الرومانية الذي أزالته

الممالك المحلية، وتم حذف هذه المقاطعة نهائيا من قائمة المقاطعات البيزنطية في عهد الإمبراطور موريس 582، 602 م ، ومن ثم بقي الونشريس ومملكته مستقلا بعد أن أخضعه الرومان تحت سيادته وسلطة حكمه (7).

بعد دخول الإسلام لبلاد الونشريس خلال عهد الفتوحات والتي كانت بين سنتي 62، 64 هـ /681، 683 م، على يد اغلب حملات الفاتحين الذين اخضعوا سكان الونشريس تحت لواء الإسلام لتتوالى بعدها الأحداث وتستمر الانشقاقات بين القبائل والملوك والأمراء حتى الفترة المعاصرة وتحديدا مرحلة المقاومة الوطنية التي كان لسكان الونشريس قسط وشرف كبير في تدعيمها وبعث نشاطها تمهيدا لتحريرها من قبضة الاستعمار الفرنسي(8).

طبيعة الاستيطان والتواجد البشري :

المعروف على تاريخ الشعوب القديمة وحتى الفترات المتأخرة، اختيار الأماكن الخاصة لإقامتها، وهذا لاستقطاب العنصر البشري في المدينة أو القرية وقد ساعد في ذلك والى حد كبير الظروف البيئية الملائمة وهذا ما يميز المنطقة من خلال تنوع تضاريسها على غرار ما تم التطرق إليه سابقا بذكر الجبال والسلاسل الجبلية التي من شانها توفير الحصانة الطبيعية وتخفيف الضغط خاصة من الناحية الأمنية، والسهول التي تضفي الطابع الفلاحي الذي تتميز به منطقة الونشريس بوجود عدد كبير من المراكز الفلاحية ذات الإنتاج الوافر، أما بالنسبة للإنشاءات المعمارية والمتمثلة في الأضرحة، المدن، ومراكز المراقبة، حيث ومن خلال بحثنا هذا، عثرنا ببعض المواقع على مثل هذه الهياكل مما يدعنا نقول أن المنطقة بها محاجر لتوفير الصخور ذات النوع الجيد والحجارة الضخمة، وبعودتنا الى توضيح دلالات التواجد البشري بالمنطقة، فان تأكيدنا يبقى ملازما لمظاهر التطور الحضاري لعصور ما قبل التاريخ، والمعلومات التي بحوزتنا تدل على وجود حضارة حقيقية بالمنطقة، في انتظار الإعلان عن أوجه ثقافية وحضارية أخرى بعد التعمق في الأبحاث مستقبلا.

ما يميز سكان إفريقيا الأوائل حبهم للتنقل والترحال وصيد الحيوانات، كل هذا في ظل انعدام القوانين والتقاليد ونظم الحكم، وبدايات معرفتهم للسكن كانت مع اتخاذ الكهوف، المغارات

والمخابئ الصخرية كملاجئ أينما أدرك الليل سيرهم [9] ولعل المخابئ الصخرية لمنطقة عين الصفا وتلك الموجودة بمكمن الجمل دليل واضح على ذلك واعتبارها من بين محطات ما قبل التاريخ بالمنطقة حيث وجود مجموعة من الكتابات الليبية، والنقوش الصخرية المتمثلة في الأشكال الآدمية والحيوانية بأشكال تخطيطية وهندسية، وكذا الحال بالنسبة لمواقع كاف اللوز، وارثان، سيدي بوتوشنت وبوقايد، التي تحوي مجموعة من العناصر الفنية والأدوات الحجرية، ضف الى ذلك الكتابات الأثرية لما قبل التاريخ وفجر التاريخ[10].

من الواضح أن الإنسان البدائي كان يعبر عن أحاسيسه ومشاعره ومعتقداته الدينية بالنقش على الصخر وطرق أنواع الدفن، فمن خلال ملاحظاتنا لرسم بعض الحيوانات على واجهات الصخور دليل على بدايات استئناسها (الخروف، الثور، الكلب) .

هذا كل ما تقدمه الشواهد الأثرية لحضارة ما قبل التاريخ على اختلاف المراحل الانتقالية للعصور الحجرية، حيث أن للفن الصخري دلائل أكيدة وواضحة، وكذلك ممارسة مختلف الشعائر للتعبير عن مضامين حياتية واجتماعية، لتبقى مجمل الدراسات في تطور مستمر نظير تطور الأفكار والمناهج التي ارتكزت عليها المجتمعات القديمة ضمانا لاستمرارها وفرض تواجدها في ظل الاختلافات المتعلقة بالجنس، اللغة، الجغرافيا وكذا السعي لينظم الكل تحت لواء الانتماء الحضاري،

أما الفترة القديمة، فمعالم الاستيطان لا تزال بارزة وواضحة بشكل جيد، خاصة من خلال بعض المدن المدنية والمعالم الدينية والعسكرية حيث يتضح التواجد الرسمي للإمبراطورية الرومانية، والذي يبين كذلك الاستغلال الحقيقي للأراضي الفلاحية وإسكان الأشخاص والجنود وتبني الفيالق العسكرية في شكل مجموعات أو أفراد والهدف هو إدماج الأهالي أكثر فأكثر في خطوة تبين الأسلوب الروماني في استيطان التراب الإفريقي واحتوائه، وما ساعد أكثر في بعث الحركية والديناميكية، فتح شبكة الطرقات على محور موريطانيا القيصرية والمناطق التابعة لها (مركز عين تكرية) [11] والحفريات الأثرية التي أجريت ولا زالت، بينت وجود مراكز دفاعية قديمة تقع جغرافيا في أقصى حدود المنطقة من الناحية الشرقية (تازا، عين أشير، وتيحمامت) وفي نفس السياق، حيث نلمح الاستمرارية في تواجد الشعوب الى فترات متأخرة من التاريخ الحديث، كانت كلها حافلة

بالأحداث مع وصول جموع العرب، ومجيء الإسلام الذي أذن بإبعاد ركائز الحضارات السابقة وإضعاف مصادر تقويتها لان الكل يتنافى من حيث المبدأ والمصالح التي تبعث كلها للبناء والاستمرار على ارض افريقية لتبقى ملكيتها لأصحابها ومستحقيها.

دلائل التعمير والاستيطان البشري بالمنطقة:

1- الشبكة المائية :

ما تدونه الوثائق والمصادر الخاصة بالتاريخ القديم هو قيام اغلب الحضارات على ضفاف الأنهار ومنابع المياه والأودية، ونذكر من ذلك قيام الحضارة المصرية على ضفاف نهر النيل العظيم، وكذا حضارة بلاد الرافدين التي تنسب تسميتها الى نهري الدجلة والفرات (ما بين النهرين- العراق القديم) حيث استمرت في ذلك الشعوب عبر التاريخ مستغلين التنوع التضاريسي والتكوين الجيولوجي لمناطق الاستقرار البشري وتنشيط الحركة التجارية خاصة منها القائمة على السواحل البحرية (الموانئ والمرافئ التجارية).

من خلال العمل الميداني، وبالعودة الى دراسة الخريطة الطبوغرافية للمنطقة، تم الوقوف على مجموعة من منابع المياه من عيون، شعاب وانهار وحتى الآبار المنجزة ضمن المنشآت والهياكل البنائية القديمة، ومن خلال الدراسة الطبيعية التي تخص الجانب التضاريسي من حيث أن المنطقة تتميز بطابع جبلي على ارتفاع يسمح بتساقط كميات معتبرة من الثلوج في فصل الشتاء، وهذه الأخيرة تخزن في جوف الصخور مشكلة فيما بعد ظهور عدد معتبر من العيون والمنابع (جبال الونشريس والمداد) اضافة الى أن المنطقة تتميز بمناخ بارد شتاء وبمعدل تساقط يضمن توفر المياه على اغلب فصول السنة، فموقع قصر الروم بمنطقة القواسم يتوسط مجرى مائي على قسمين (شمالي وجنوبي) ينحدر من قمة جبل أولاد بن يوسف ويصب في نهر القواسم في المكان المسمى "الروراوة" اضافة الى وجود حوضين لجمع المياه بالموقع وكذا قرب كل من موقعي توم زايت والقلايل من النهر الرئيسي الذي وحسب جيولوجية المنطقة وتكوينها التضاريسي، لم يغير مساره منذ القديم، مما يدعنا نقول أن اختيار أماكن إقامة أبراج ومدن أثرية بالمواقع المذكورة كان على حساب الأنهار والمجاري المائية التي

تصب فيها، وفي هذا السياق، يذكر LACAVE LAPLAGNE[12] أن اختيار الرومان لبناء قواعدهم المختلفة وخاصة على ضفاف الأنهار في إشارة منه الى إستراتيجية وجاذبية موقع واد لرجام وعذوبة مياهه وخصوبة تربته وهو ما جعل الكثير من العائلات تتمتع بالإقامة نظير افتقادها لمصادر تموينها بالمياه، وبشهادة الباحث بدلالة احتمال اختيار هذه العائلات بعد أن ترومنت وأخذت على عاتقها بناء مدن لإيوائها الى جانب الأضرحة وقصور العبادة وممارسة الطقوس الدينية والجنائزية.

كما أن المصادر القديمة تشير الى وجود بعض المنشآت ذات الغرض الاستحمامي والترفيهي ويتعلق الأمر بالحمامات المعدنية، حيث وجود منبع مائي ساخن أو مسبح محفور في الصخر بمنطقة سيدي سليمان [13] وهو مستغل الى يومنا هذا باعتباره احد المراكز المعدنية والسياحية في المنطقة بالإضافة الى وجود بعض الآثار غير الواضحة على الخريطة، ومنها بقايا منزل وعمودين بمنطقة أولاد غالية وخربة بني علة (الخرب)[14]، أما ببلدية بني شعيب وعلى إحدى الهضاب وجود مجرى مائي على يمين واد فودة، وغير بعيد عن الطريق الرابط بين برج بونعامة وثنية الحد وجود كتابة أثرية غير واضحة[15]، وبمنطقة أولاد بسام وجود بقايا لبعض المعالم مبنية بالآجر والحجارة المنحوتة، وهي موجودة بمحاذاة ربوة محاطة بثلاث أودية كبيرة مبنية بالحجارة وبالمكان المسمى **كاف** الحمام وجود سبعة أسوار متوازية مشكلة من الحجارة غير المنتظمة وغير المنحوتة بارتفاع ثلاث أمتار وطولها مئات الأمتار [16].

بالناحية الجنوبية وما تحتمله الوثائق التاريخية في هذا المجال، ذكر نهر واصل الذي شهد أهم المراكز العسكرية الرومانية التي كانت تابعة على وجه الخصوص لأهم معسكر بالمنطقة (عين تكرية) في الفترة الرومانية، وهي بذلك تشكل احد نقاط الارتكاز للخط الدفاعي الثاني "الليمس"[17] حيث أن هذه الانجازات لم تتوقف عند هذا الحد، بل تواصلت حسب ما تمليه الطبيعة البشرية والأهمية الجغرافية لإقامة المراكز العسكرية والاستيطانية، مع أن خرجاتنا الميدانية لم تمكننا من العثور على آثار وبقايا ما ذكرته المراجع في مجال الآثار وهذا بحكم وجودها في مناطق فلاحية وزراعية تنتمي الى سهل السرسو الشمالي.

وبموقع تازا –برج الأمير عبد القادر، ومن خلال الحفريات الأثرية التي يقوم بها الدكتور بويحياوي، أشارت في تقاريرها الى وجود نظام توزيع وتصريف المياه، وبعض الصهاريج وخزانات المياه بالمدينة الأثرية خلال فترة إقامة الأمير عبد القادر هناك. [18]

هذه الشبكة المائية وان لم نتمكن من الإشارة إليها بشكل تفصيلي نظرا لوقوعها في مناطق معزولة ومتدهورة امنيا، إلا أنها تعتبر احد العوامل الأساسية والرئيسية للتواجد البشري بهذه المنطقة، وهو ما نستطيع استنتاجه على ارض الواقع من خلال كثرة السيول والمجاري المائية بوسط المدينة خاصة في فصل الشتاء وبداية فصل الربيع، وهو ما جعل ضرورة تمركز المنشآت الدفاعية والمراكز الفلاحية حول هذه الشبكة الحيوية.

2- شبكة الطرقات:

إن إحكام السيطرة على أي إقليم، موقع أو مقاطعة ما لا يمكن إلا بإنشاء شبكة طرقات جيدة واستحداث منافذ ومخارج ضمن الفجوات أو الطرق الثانوية وغير الرئيسية، ما يمّكن تنقل الفرق والجيوش العسكرية من منطقة لأخرى خاصة ضمان إيصال المؤن والمعدات اللازمة لها دون عناء[19]، حيث تكون الطرقات محروسة عن طريق الإنشاءات التحصينية الدفاعية والإستراتيجية، لا لشيء إلا لتثبيت السلم وضمان امن الطرقات حيث أن نجاح الرومان في تحقيق هذا النظام كان احد ابرز عوامل توفير الأمن في شمال إفريقيا في نهاية القرن الثاني والثالث ميلادي، للإشارة، ومن خلال بحوثنا التي تركزت في بعض مراحلها على المطالعة استنتجنا أن مخلفات الحضارة الرومانية في هذا المجال أعيد استعمالها من طرف الشعوب الآتية من بعد، وهو ما يرجح فكرة تداخل المستويات الأثرية على اختلاف الفترات التاريخية.

من خلال النظر للمعطيات الجغرافية والتي يمكن من خلالها القول وبتأكيد ذلك أنها في اختيار شبكة الطرق العسكرية ونحن هنا نحاول توضيح أن جبال الونشريس ذات التشكل الجيولوجي الضخم من جهة وقلة الموارد الحيوية لإقامة المدن من جهة أخرى ما عدا إقامة بعض القلاع على المرتفعات لمراقبة التحركات على السهول الضيقة أحيانا والمتسعة أحيانا أخرى...وعلى

هذا الأساس فان كتلة جبال الونشريس لم تتح الفرصة لإنشاء طرقات بإمكانها ربط الإستراتيجية الدفاعية بمختلف النقاط والمتمركزة أساسا على بناء المراكز للمراقبة العسكرية وحماية محطات المدن على طول الطريق، وأمام غياب واندثار معالم شبكة الطرقات بالمنطقة حاولنا الاعتماد على استقراء خريطة شبكة الطرقات بإفريقيا الرومانية **لبيار صلاما**.

الخريطة 01: شبكة الطرقات بإفريقيا الرومانية

ل **SALAMA. P**

انطلاقا من منطقة زابي شرقا مرورا ببوغار وصولا الى حدود واد مينا بغيليزان غربا على محور الطريق الداخلي **الرئيسي** والمعروف (Reconnue)، الذي يربط ويشمل عديد المدن التي قمنا بجرد مواقعها الأثرية وكمثال على ذلك اعتبار منطقة تازا الواقعة بالقرب من شبكة طرق رومانية مكثفة لموريطانيا القيصرية، ومن ذلك الطريق الروماني الذي يمر بقربها والآتي بداية من بوغار، دراق، قرية أولاد هلال ثم تتبع الحدود طريقا استراتيجيا يمر عبر ثنية الحد، تيارت ثم فرندة، وبهذا

التحديد فإن منطقة تازا تقع في حدود الخط الدفاعي الثاني الذي امتد بسبب الحركة التوسعية التي اتخذها الرومان كإضافة وتدعيم للخط الأول من خلال تطويق المناطق الداخلية والتلية خاصة بعد نهاية الحكم السيفيري (235م) بداية من منطقة سيلاص (الخربة الزرقاء) مرورا بزابي جوستينيانة (المسيلة) الى غاية مقر اللفيف السوري (مغنية)– NUMERUS SYRORUM–[20]، حيث اعتبر هذا الطريق الشريان الوحيد لتنشيط الحركة التجارية وتامين المدن ومعسكرات الجيوش التابعة والتي لها علاقة مباشرة مع مدن الإمبراطورية على غرار الطرق **الثانوية** والافتراضية (Supposé) التي تم شقها لتنمية المناطق الواقعة على محور الطريق الرئيسي واستغلال ثرواتها وتسهيل الاتصالات والإشارات العسكرية، حيث نستطيع ذكر في هذا المجال اتصال الطرق الثانوية مع المناطق الداخلية الغربية، وخاصة منها تلك التي عرفت إنشاء مراكز مراقبة وحراسة المنشآت العسكرية باعتبارها جزءا من خط الليمس خاصة في المنطقة الواقعة بين جبال الونشريس جنوبا والحدود الشمالية لسهل السرسو حتى منطقة تيارت.

– الطريق الرئيسي:

منطقة زابي (المسيلة حاليا) شرقا حتى حدود واد مينا بغيليزان غربا واهم مميزات هذا الطريق وقوعه على المحور شرق غرب الليمس الموريطاني والإشراف على المناطق الداخلية للأطلس التلي خصوصا جبال الظهرة، الونشريس والسهول الشمالية بمراعاة وقوع بعض المواقع الأثرية التي تم ذكرها على غرار تازا ومعسكر عين تكرية (المسماة بورباكي على الخريطة) وعين تيسمسيلت حتى منطقة تيارت كمناطق إستراتيجية.

وجود طريق رئيسي بأقل مسافة من الطريق السابق يربط خربة أولاد هلال شمال شرق ثنية الحد بالعاصمة ايول (شرشال) مرورا بحمام ريغة (AQUAE CALIDAE) وجبال زكار.

الخريطة 02: مقطع من خريطة شبكة الطرقات

بإفريقيا الرومانية

ـــــــ الطريق الرئيسي

– الطرق الثانوية:

عديدة، بما أنها تتفرع من على حدود الطريق الرئيسي وتربط المدن الداخلية والقريبة سواء للأغراض التجارية أو تلك التي بها منشآت وأبراج دفاعية، والملاحظ أنها تتجه كلها نحو الشمال على عكس الطرق الثانوية الأخرى لمنطقة تيارت والمتجهة نحو الجنوب (الأطلس الصحراوي).

الخريطة 03: مقطع من خريطة شبكة الطرقات

بإفريقيا الرومانية

الطرق الثانوية

الشواهد الاثرية للتعمير البشري بالمنطقة:

أردنا في ختام هذه الدراسة أن نعرض اهم البقايا الاثرية لبعض المواقع والتي بدورها تمثل شواهد الوجود البشري بالمنطقة منذ ما قبل التاريخ والفترة الرومانية اذا اعتبرنا ان استقراء هذه البقايا علميا يحدد جوانب كرونولوجية من شأنها تأكيد نظرية ان المنطقة ضاربة في اعماق التاريخ من خلال محطات ومواقع ما قبل التاريخ والفترة التاريخية.

من بين الشواهد الاثرية بالمنطقة نجد موقع عين اشير ببلدية برج الامير عبد القادر حيث تشمل اثاره عشرات القبور الدائرية (التيميلوس) تحفها حجارة متوسطة الأحجام وغير مرتفعة كثيرا

على مستوى سطح الأرض، استغل في ذلك ربوة صغيرة كمقبرة تم من خلالها دفن الأموات مقاساتها من حيث قطر الفوهة تتراوح من 1,25م إلى 1,40م أما المسافة بين القبور فتتراوح من 40 إلى 65 سم. لكننا لم نتمكن من التعرف على المقاسات الداخلية للقبور وحتى طرق الدفن بحكم عدم تعرض الموقع لأي عمليات تنقيب أو بحوث أثرية.

الصورة 01: منظر عام للموقع

أما نشاط الانسان في حقبة ما قبل التاريخ خصوصا ما تعلق بالصناعات الحجرية، فتحرياتنا الميدانية اثبتت وجود موقعين عثر بهما على ادوات حجرية بأشكال مختلفة، ويتعلق الامر بموقع كاف اللوز المحاذي لموقع عين تكرية شمالا حيث ان هذه الادوات تم العثور عليها على السطح من خلال عملية المسح الاثري التي قمنا بها خلال 2009 في اطار جرد المواقع الاثرية.

الصورة 02: منظر عام للموقع

الصورة 03: نماذج للأدوات الحجرية بالموقع

أما الموقع الثاني يتواجد ببلدية بوقايد حيث يتطرق الباحث دحدوح[32] الى وصف الموقع على انه يحتل زاوية مشكلة من واد بوقايد وأحد روافده، على بعد 600 م جنوب غرب منجم الباريت وبالقرب من **ركبة** العتبة، واعتباره ثالث المواقع التي تعود لفترة ما قبل التاريخ وتحديدا فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتيك)، ويشير نفس الباحث الى أن الموقع تم اكتشافه من طرف السيد **جين مورال** (JEAN MOREL) في سنة 1948، حيث قام بجمع 148 أداة حجرية مصنوعة اغلبها من حجر الصوان والكوارتزيت وهي تتمثل في النصال، الشظايا، النصيلات والمثاقب.

الصورة 04: الأدوات الحجرية الملتقطة من الموقع
عن الباحث : **دحدوح**

فيما يتعلق بالممارسات الدينية والجنائزية بالمنطقة، فالشواهد الاثرية لا تزال معالمها قائمة لكن حالة حفظها سيئة، ومن بين هذه الشواهد نجد بقايا ضريح سيدي جغبالة ببلدية المعاصم حيث وبعد معاينة الموقع، أين تكثر القبور بجوار الضريح تم تسجيل تواجد عدد كبير من الحجارة المنحوتة، مقاساتها تتراوح من 1,55 الى 1,60 م طولا، ومن 55 الى 60 سم في السمك أما الارتفاع فيختلف حسب الوظيفة والشكل حيث كانت مشكلة للضريح من الجهة العلوية، أما قاعدة الضريح فتبلغ مساحتها 40,96 م^2، وباعتماد نظام التدرج في بناء الأضرحة والتي تبلغ في مجملها أربعة دورات في البناء، حيث تبلغ المساحة الإجمالية 18,49 م^2، وعليه فإن هذا النوع ينتمي إلى الأضرحة هرمية الشكل،

الصورة 04: منظر عام للضريح

الصورة 05: تقنية بناء حجارة الضريح

والملاحظ على طبيعة الحجارة المكونة للجهة العلوية للضريح، أنها مسطحة من الزوايا الخارجية بشكل أفقي على عكس تلك المكونة للأجزاء السفلى المنحوتة بشكل مربع.

كما تم تسجيل سقوط اغلب الحجارة المكونة لأسوار الضريح بشكل كلي، ما عدا جزء من السور الغربي مما اثر على عدم إمكانية اخذ المقاسات الخاصة أساسا بتحديد المساحة الإجمالية للضريح من جميع الجوانب وحتى إعادة تصوره في شكل مخطط، من شأنه تسهيل إعادة ترميمه خاصة وان الحجارة التي كانت مكونة له لا تزال بالموقع.

الصورة 07: سقوط اغلب حجارة الضريح

بيبليوغرافيا المقال:

(1) **عبد الرحمن محمد ابن خلدون**. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة المطبوعات ج1، بيروت 1971، ص156.

(2) **شنيتي محمد البشير**. موريتانيا القيصرية، دراسة حول الليمس ومقاومة المور، أطروحة دولة في تاريخ وأثار المغرب القديم ج1، معهد الآثار، جامعة الجزائر 1992، ص55.

(3) **غانم محمد الصغير**. المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة، الجزائر 1998، ص50-51. **أنظر أيضا**: **قداش محفوظ**. الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1993، ص63-64، 66. **دحدوح عبد القادر**. **تيسمسيلت**، محطات تاريخية ومواقع أثرية، الجزائر 2009، ص19.

(4) **سعيداني سحنون**. الاستيطان بمنطقة الونشريس، ماجستير في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 2008، ص08**نقلا عن**: **شنيتي محمد البشير**. الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص95.

* بحكم التجاور ووقوع المدينتين -تيارت وتيسمسيلت- في الفترة القديمة على نفس الخط الدفاعي (الليمس) وبلوغه المغرب الأقصى مرورا بتلمسان واشتراك هذه المدن في نقاط دفاعية مختلفة، عرفت فترة بناءها تضييق الخناق على المقاومة التي أبداها سكان شمال إفريقيا رافضين كل أشكال الاحتلال والاستيطان.

(5) DIEHL, CH. L'Afrique byzantine, histoire de la domination byzantine en Afrique (523, 709) Vol I et II, Paris 1892, PP 260- 262.

(6) شنيتي محمد البشير. المرجع السابق، ص342، 349 و351. انظر أيضا:

- SALAMA, P. Les voies romaines de l'Afrique du nord.

(**7**) **دحدوح عبد القادر**. المرجع السابق، ص21.

(**8**) **نفسه**، ص23 و33.

(**9**) **محفوظ قداش**. المرجع السابق ص 30-38.

(**10**) **كمال بولغرايف**: دراسة وصفية تحليلية لمحطات الفن الصخري لمنطقة ثنية الحد بولاية تيسمسيلت، ماجستير أثار ما قبل التاريخ، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2007. ص 44-55.

(11) SALAMA, P. Les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger 1951, PP 36-37.

(12) LACAVE LAPLAGNE. Notes sur les ruines romaines relevées dans la commune mixte d'Ammi Moussa, **B**ulletin de la **S**ociété de **G**éographie et d'**A**rchéologie d'**O**ran, 1911, P 48.

(13) CADENAT, P. « Fouilles à Columnata 1956-1957 » Libyca Archéologie / Epigraphie, N° VI, 1er semestre, 1958, PP 89-93.

(14) CAVAULT, P. « Note sur les ruines antique d'Ain Toukria » **R**evue **A**fricaine, N° 27, O.P.U, 1883, PP 233.

(15) GSELL, S. **A**tlas **A**rchéologique de l'**A**lgérie, Feuille 23, N° 02.

(16) BASSET, P. Etude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et du Maghreb central,Paris 1895, P 12.

(17) GSELL, S. Op Cit. N° 02.

(18) WAILLE, V. Une reconnaissance Archéologique entre Theniet el Had et Tiaret. **B**ulletin de **C**orrespondance **A**fricaine, 1884, P 461.

(19) CAGNAT, R. L'Armée romaine et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, 1892, P 653.

(**20**) **بويحياوي عز الدين**. التقارير العلمية لحفرية تازا برج الأمير عبد القادر لكل المواسم من 2001 إلى 2009، أرشيف مديرية الثقافة لولاية تيسمسيلت (مصلحة التراث الثقافي).

(21) SALAMA, P. Op Cit. PP 100-101.

(22) COURTOIS, C. Les vandales et l'Afrique. Edition, Arts Métiers Graphiques, Paris 1955, P 79.